

العزة.. قوة وصلابة من الله تعالى



مفهوم (العزة) من المفاهيم القرآنية التي اهتم بها الإسلام في القرآن، فلقد جعلها الله تعالى لنفسه (فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) (فاطر/ 10). إن الله سبحانه وتعالى يتحدث عن العزة لذاته المقدسة، كما يتحدث عن العزة لرسوله وللمؤمنين مما يوحي بأن هذا المفهوم أصيل في معنى القيمة في أية ذات حتى الذات الإلهية التي تختزن العزة كلها من حيث أنها تختزن القوة كلها، لأن قضية أن تكون عزيزاً هي قضية أن لا ينفذ الضعف إليك، لأن الدل إلى الإنسان من خلال الضعف الذي يستغله القوي ليسقط ذاته أو يخطئ موقعه. أمّا عندما يكون الوجود كله قوة، لا ضعف فيه ولو بأصغر نسبة، فإن من الطبيعي أن تكون العزة له. فلقد تحدث الله عن نفسه بقوله تعالى: (أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا) (البقرة/ 165)، لأن كل قوي يستمد قوته منه، ومن خلال ذلك فإن كل عزيز يستمد عزته منه، من خلال هذه القوة الموهوبة له. في قوله تعالى: (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران/ 26)، فالعزة منه والذلة منه لأن القوة منه والضعف منه، ولأنه الخالق لذلك كله، وعلى ضوء هذا أراد الله لرسوله أن يأخذ بالعزة فلا يضعف أمام أي مخلوق، وأما أي موقع، ليبقى عزيزاً قوياً أمام الإغراء فلا يذل نفسه من أجل إغراء يجتذبه فهو أكبر من الشهوة ومن اللذة، وبذلك يكون أقوى من الأغراء، وهذا ما تمثّلناه في كلمة الرسول (ص) عندما جاءه عمه "أبو طالب" يعرض عليه ما عرضته فريش من الملك إن شاء ملكاً، ومن المال إن شاء مالاً، ومن الجاه إن شاء جاهاً، فقال له الكلمة الخالدة "يا عم وإني لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك"، وهكذا رأيناه يصمد أمام التخويف فقد اندفع إليه كل أولئك العتاة من أهل (الطائف) الخالدة التي يخاطب الله فيها: "إن لم يكن بك غضبٌ فلا أبالي". ومن هنا، كان رسول الله (ص) القوي أمام التخويف، الذي لا يجد في نفسه أي ضعف لأن نفسه اختزنت القوة من الله سبحانه وتعالى، فلم يبق فيها شيء من الضعف، وانعكس ذلك عندما (أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) (التوبة/ 40). وهكذا أراد الله للمؤمنين أن يكونوا الأغزاء (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلَّهِ الْمُنِيرِينَ) (المناقون/ 8). لأن الله أراد للمؤمنين أن يكونوا أقوياء: أمام الإغراء فلا يسقطون أمام لذة تعرض عليهم، أو شهوة تجتذبهم، أو مال يمكن أن يسقط إرادتهم، لا يسقطون أمام التخويف أيضاً، وهذا ما حدثنا الله عنه في قوله تعالى: (الَّذِينَ قَالُوا لَكُمْ وَسَيَقْتُلُونَكُمْ وَسَيَصَادُونَ كُلُّ شَيْءٍ فَيَكُمُ الْفَزَادُ هُمُ الْيَمَانُ) لأنهم عندما خوفهم الناس بقوة الناس انفتحت عليهم قوة الله كمثل الشمس وبدأوا يقارنون بين قوة الناس المتناثرة في إنسان يملك بعض القوة ومعها

الكثير من الضعف، ويتطلعون إلى الله القوي الذي له القوة جميعاً، ويشعرون بأن هؤلاء الأقوياء استمدوا القوة من الله وهو القادر على أن يسلبهم قوتهم لأنهم أعطاهم الحياة وهو القادر على أن يسلبهم الحياة، كما قال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَعِينُونَ وَالَّذِي هُوَ إِلَهُكُمُ الْحَيُّ الَّذِي عَلَّمَكُمُ الْقُرْآنَ وَلَهُ يُنَزِّلُ السَّمَكَاتِ مِنَ الْبَحْرِ وَهُوَ يَخْلُقُ جَدِيداً * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) (فاطر/ 15-17). إن هناك فرقاً بين أن (تخاف) وبين أن (تحذر) فالخوف يسقطك والحذر يفتح عينيك على ما في الدرب وعلى ما حولك ومن حولك. لذلك أن تكون مؤمناً يساوي أن تكون عزيزاً. ختاماً، فكونوا الأعضاء في عقولكم، حتى يكون عقولكم عقلاً عزيزاً لا يسقط، وكونوا الأعضاء في قلوبكم، حتى تكون قلوبكم عزيزة لا تستعبد، وكونوا الأعضاء في واقعكم حتى يكون واقعكم حياً صلباً لا مجال فيه للضعف، فإذا جاءكم الضعف فحاولوا أن تستعيدوا بالله حتى تستمدوا القوة منه في كل مواقفكم وفي كل مواقعكم، فهو الذي يعطيكم العزة والغنى والرفعة ولن يفعل ذلك غيره، كما قال الإمام زين العابدين (ع): "فكم قد رأيت يا إلهي من أناس طلبوا العز من غيرك فذلوا، وراموا الثروة من سواك فافتقروا، وحاولوا الارتفاع فارتضعوا". وهكذا جاء في الحديث: "من أراد عزاً بلا عشيرة، وغنى بلا مال، وهيبة بلا سلطان، فلينتقل من ذلك معصية الله إلى عز طاعته".